الفصل الثانى

شمال افريقيه ابان العصور الحجرية

« العصر الحجرى القديم ـ العصر الحجرى المتوسط ـ العصر الحجرى الحديث »

الفصل الثانى

شمال أفريقية أبان العصور الحجرية

لم يكن تطور الإنسان الإحيائى والحضارى بمعزل عن تطور البيئة الجغرافية فى شمال إفريقية إذ أن جزءاً كبيراً من عصر ما قبل التاريخ كان يقع فى الزمن الرابع الذى شهد كما سبق - أن واضحاً - فى شمال إفريقية عصور مطيره وفترات جافة ذلك إلى جانب التغيرات الفيزيوجرافية الهامة التى من بينها تغير خط الساحل ، وتكوين المدرجات النهرية ، وظهور الاودية الجافة ، ونشأت بعض الواحات ، وتكوين وادى النيل وظهور الصحراء بمظهرها الذى توجد عليه فى الوقت الحاضر .

وقد تطور الجنس البشرى خلال هذه الفتره إلى النوع البشرى الذى تنتمى إليه كما أنه إكتسب خبرات عديده كان من بينها إستخدام فروع الاشجار والاحجار كأهم آلاته ومن ثم كان تسمية الفتره التى ساد فيها هذا النوع من الالات باسم العصر الحجرى القديم . وعرف بعد ذلك الزراعة فانتقل إلى العصر الحجرى الحديث ، وظل بعد ذلك يرتقى فى حضارته وثقافته فعرف البرونز والحديد ، كما تعلم كيف يستخدم قوه الرياح وإندفاع المياه فى أغراضه المتعدده . وهكذا ظل يضيف إلى خبراته السابقة خبرات جديده ومن ثم انتقل من عصر ما قبل التاريخ إلى عصر فجر التاريخ وذلك خلال فتره طويلة من الزمن (١) .

---

(١) لدراسة التطور الحضارى للانسان بصفة عامة أنظر .

Childe G. Social evolution London 1951 - Childe G. What happened in history Middlesex , 1943

أولا العصر الحجرى القديم

والعصر الحجرى القديم الذى يمثل المرحلة الاولى من مراحل التطور الحضارى للانسان فى شمال إفريقية يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام وهى العصر الحجرى القديم الاسفل Lower paleaolithic ، والاوسط Middle paleaolithic والاعلى Upper paleaolithic . والعصر الحجرى القديم الاسفل مرحله طويلة من الزمن إستغرقت ما يقرب من ٤٠٠,٠٠٠ سنة تمكن الانسان خلالها من أن يكمل صفاته الانسانية ويكتسب صفة الانسان الصانع Homo Faber (١) وذلك فى ظل بيئة متنوعة تضم الجبال والهضاب ، والسهول والوديان والصحراء والغابات ؛ والكهوف والمغارات ، وفى ظل أيضا ظروف مناخية قاسية متفاوتة بين أمطار غزيره وفترات جفاف حيث كان الإنسان يلجأ الى الكهوف والمغارات الصخرية حين تسوء الاحوال الجوية وتشتد قسوه الظروف المناخية فى أثناء الفترات المطيره فى حين كان ينطلق اذ ما انتهت الامطار للعيش فى السهول

وفى خلال هذه الفتره الزمنية الطويلة كان مورد الغذاء الرئيسى هو الصيد بنوعيه البرى والبحرى ، وكانت جماعات الصيادين تعيش فى إعداد صغيره ولم يكن هناك ثمة اتصال بين المجموعات المختلفة . هذا مع ملاحظة أن إنسان العصر الحجرى القديم الاسفل لايشبه من ناحية شكل هيكله وتكوينه الإنسان الحالى اذ كان قريب الشبه من القرده العليا كما كان حجم مخه صغيراً (٢) .

---

(١) يحيى الجوهرى ـ السلالات البشرية ـ الاسكندرية ـ ١٩٦٧ - ١٤

(٢) عثر بالجزائر فى باليكاو على حفرية تنتمى الى مرحلة العصر الحجرى القديم الأسفل وتتكون من ثلاث عظام فكية سفلية وتتصف بضخامة حجمها وثقل عظمها . وقد أثبتت الدراسات التشريحية والاركولوجية أن هذه الحفريات تنتمى الى مجموعة الانثروبوس موربطانيكوس =

هذا ولايوجد فى وقتنا الحاضر أى مجتمع إنسانى يشبه تلك المجتمعات التى عاشت فى شمال إفريقية فى مرحلة العصر الحجرى القديم الأسفل .

وقد اقتضت عملية الصيد وجمع الطعام والتقاطه صناعة بعض الادوات الحجرية . التى رغم أنها لم تشكل على هيئة آلات إلا أنه لوحظ ـ فى بعض الأحيان ـ أثناء هذا العصر ظهور صناعة النواة والشظايا . وأدوات هذا العصر يمكن تقسيمها من حيـــث المراحل الحضارية إلى ثلاثة أقسام وهى الحضارة الحصويةpebble Cultureوالحضارة الشلية والأشولية.

فى فجر هـــذا العصر كان الإنسان يصنع آلاته الحجرية من الصوان على شكل قطع مســـطحه ذات حافات مشظاة مسننة . وكان الإنسان يتم صنع هذه الآلات بأى طريقه كانت وغير معروف بالضبط هل استطاع الانسان فى هذه الفترة أن يعرف النار أم لا (١) ، وقد تطورت الصناعات الحجرية بعد ذلك

= Atlanthropus Mauritanicans التى تتصل بانسان جاوة والصين .
وقد وجدت مجموعة أخرى من الحفريات الانسانية المشابهة بالغرب من الدار البيضاء فى محجر سيدى عبد الرحمن، ووجدت مصاحبة لحيوانات فترية أخرى كوحيد القرن وفرس النهر ذلك الى جانب فك انسان عقلى اكتشفت فى عام ١٩٥٥ فى كهف ليتورين Grottes De Littornes الذى ينتمى أيضا الى مجموعة بالبكاو palikao غير أن حجم اسنانه أقل من انسان بالبكاو .
أما انسان الرباط فوجد فى كثبان رملية متحجرة FossilSand dunes بالقرب من الرباط وتشبه فى تكوينها الجيولوجى الحجر الرملى الذى عثر فيه على بقايا سيدى عبد الرحمن الأمر الذى يشير الى التشابه فى البيئة الجغرافية المحيطة بالانسان فى كل من سيدى عبد الرحمن والرباط ذلك بالاضافة الى أن انسان الرباط ينتمى الى نفس المجموعة التى ينتمى اليها انسان بالبكاو وسيدى عبد الرحمن . وبعبارة أخرى فان جميع الحفريات التى عثر عليها فى شمال افريقيا وكانت مصاحبة لآثار العصر الحجرى القديم الأسفل تربط بانسان اتلانثروبوس وبكين ـ لدراسة هذه المجموعة تفصيلا . انظر .
Cole. S. Races of Man. London, 1963.

فظهرت الفأس اليدوية ذاب لشكل الكمثرى والجوانب الحادة غير المنتظمة . وقد شكك العلماء فى بداية البحث عن عصر ماقبل التاريخ أن تكون مثل هذه الآلات من صنع الإنسان . ولكن بتكرار العثور على قطع من الصوان مشظاة بشكل معين وبكميات كبيرة فى أماكن متناثرة ومختلطة مع بقايا حيوانية لاتدع مجالا للشك فى أنها ليست من صنع الطبيعة (١) .

وينتمى إلى هذه الصناعة الحضارة الأشولية وتسمى صناعة آلاتها باسم صناعة النواة لأن قطعة الصوان كما هى وغاية مافى الأمر أن الإنسان يضربها من الناحيتين لعمل الحافة . وقد عرفت الحضارة الأشولية أيضا فى شمال إفريقية باسم لكلاكتو ـ ابفلية . وتوجد آثار هذه الحضارات فى عدد من المواقع فى المغرب كمحجر سيدى عبد الرحمن ، وعين كرمان Inkerman فى جنوب مدينه الأصنام فى غرب الجزائر، ومحجر مارتين Martin ودبريه Deprez وعين فريطسه وعين الحنش التى تقع على ٦ ك . م إلى الشمال الغربى من « العلمية » سانت ارنود Arnod (شكل ١٥) .

فى قد قسم أحد الباحثين هذه المواقع إلى أربعة أقسام رئيسية (٢) وهى :

ا ـ مواقع ترتبط بتطورات الزمن الجيولوجى الرابع من الناحية البحريه مثل بعض المحاجر الساحليه كمحجر سيدى عبدالرحمن .

ب ـ مواقع سهليه لجأ الإنسان إليها بحثاعن الطعام والشراب مثل عين كرمان وموقع الماء الأبيض El, ma e, Abiod الذى يقع على بعد حوالى ٤٥ ك. م

1 — K. Oakley, The earliest tool-makers , antiquity vol XXX 1959 pp. 47.

(٢) رشيد الناضورى ص ٧٠ .

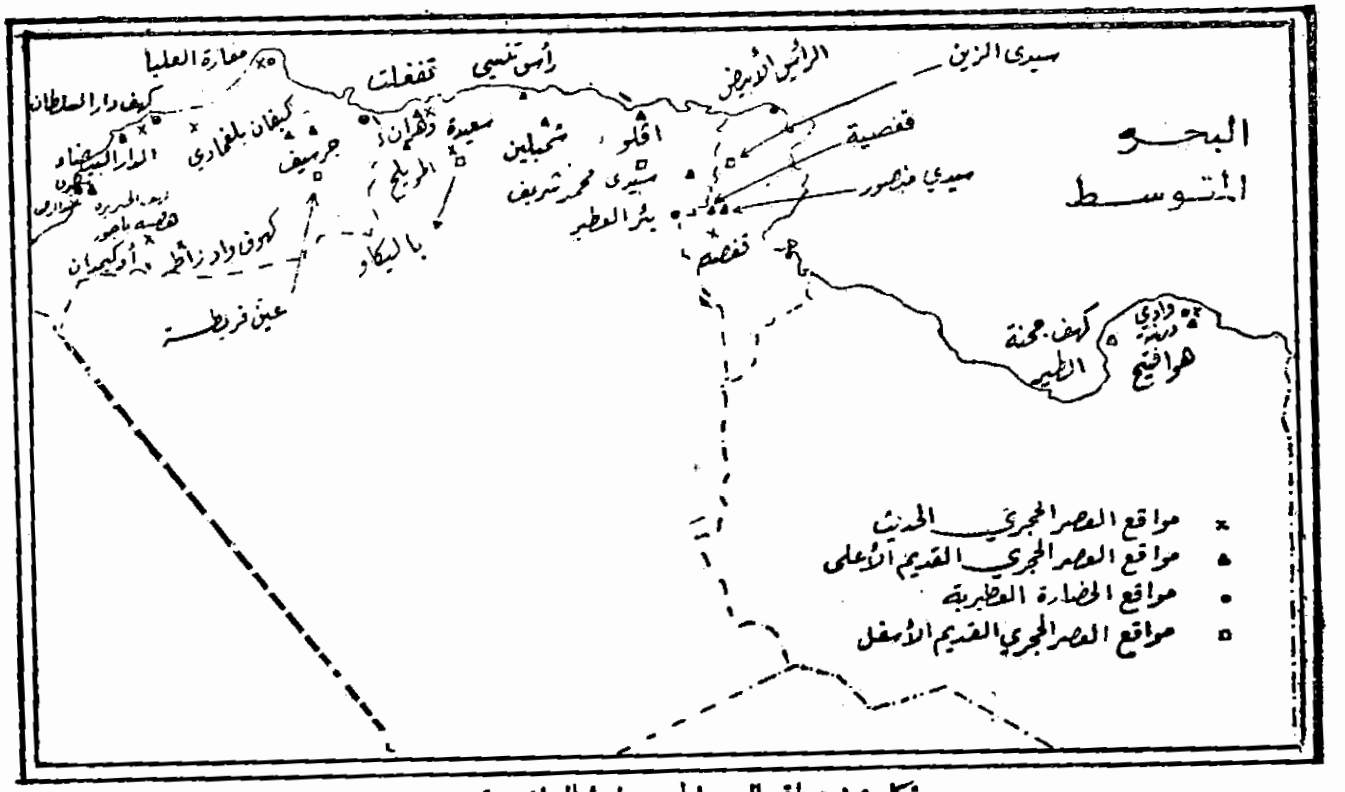

شكل ١٥ مواقع العصر الحجري في شمال إفريقية

إلى الجنوب من تمداً ، وموقعى قفصه وسيدى الزين .

حـ — مواقع العيون والابار التى تجمع عندها الإنسان حيث ترك اثارة هناك مثل موقع عين الحنش ، وبحيرة كارار Karar بجوار وتلمسان ترنيفين بجوار باليكاو فى غرب الجزائر .

د — مواقع صحراوية مثل تيهودين Tihodaine فى هضبة الحجار .

ومن الصعب ايجاد تنوعات جغرافيه بين الحضارة التى رجدت فى هذه المواقع وذلك لإن الإنسان ما زال فى الطور الحضارى الأول . على أى حال فربما كان أهم المواقع الأثرية السابقة ، وذلك من وجهة نظر الجغرافية التاريخيه محجر سيدى عبد (١) . الذى ميزه بعض العلماء بحضارة خاصة أطلقوا عليها اسم الوهرانية وهى نفس الحضارة المعروفة الكلاكنو ابفيليه .

أما بالنسبه لمصر فقد أنتشرت حضاره الفأس اليدويه القائمه على صناعه الآلات الحجريه من النوايات الصخريه انتشارا واسعا ومن ثم أخذت الطابع المحلى فى بعض الجهات . وقد عرف الإنسان فى خلالها طريقه إستخدام النار وكان يعيش فى مناخ يمتاز بدفئه وشدة رطوبته .

أما فى أثناء العصر الحجرى القديم الاوسط فامتازت الآلات الحجريه فى مصر بالتنوع حيث بدأت صناعه الآلات العظيمه ، كما بدأ فى العثور على آثار للمواقد لان المناخ امتاز فى هذه الفترة ببسط فى درجه الحراره وأشتداد البرد

---

(١) محجر سيدى عبد الرحمن عباره عن هضبة تنحدر من أرتفاع ١٠٠ مترفوق مستوى سطح البحر الى ساحل المحيط لاطلسى وذلك فى مسافة ٥ كم وقد أستخدمت هذه الهضبة كمحاجر بصفة خاصة بالنسبة للحجر الرملى ، مما ساعد على اكتشاف كثير من الاثار فى هذه المنطقة .

وذلك بالمقارنة بالمراحل السابقة . وقد كانت الحضارة السائدة فى هذه الفترة الحضارة الموستيرية التى امتازت آلاتها بأنها صنعت من الشظايا Flake وليست النواة . وقد إستخدمت عدة آلات كرؤوس الحراب والسهام إلى جانب الالات التى استعملت فى سلخ جلود الحيوان وما إلى ذلك من أغـــراض الذبح ، كما وجدت آلات مصنوعة من العظام والخشب .

وقد صاحب هذه الحضارة إنسان نياندرتال الذى عاش فى العراء فى شمال إفريقية حيث كان هناك عصر مطير فى حين لجأ إلى سكنى الكهوف فى غرب أوربا وقد وجدت بقايا الهياكل عظيمة فى حالة كاملة بل وجدت اســـر كاملة بنسائها ورجالها واطفالها من جميع الأعمار .

وقد لوحظ أن جميع الحفريات التى وجدت فى الأماكن ـــ التى تمتد على طول الساحل الشمالى الغربى لإفريقية ـ مثل كهوف مغارة العالية ، واشقر بجوار طنجة ، ودار السلطان جنوب الرباط ، والخنزيرة جنوب الجديدة ـــ تشير إلى أن إنسان نياندرتال من نوع ذات صفات ومميزات خاصة به . وقد تبدو هذه الصفات لأول وهله غير جذابة وقبيحة فالجمجمة ضخمة سميكة الجدران وحجم المخ يقرب من ١٤٥٠ سم٣ ، والحواجب ضخمة كبيرة تشبه حواجب الإنسان القرد والقردة العليا حيث كونت حاجزا كبيرا امتد فوق فجوات العين الواسعة العميقة ، كما أن الانف عريض والفك بارز والذقن متقهقرة والاسنان كبيرة نسبياً ، والاضراس ضخمة ذات تجاويف خاصة ، أمافقريات الرقبة فهى طويلة مما يساعد على إمساك عضلات الرقبة الغليظة ، ذلك بالإضافة إلى أن عظام الاطراف ذات مظهر ضخم وهى منحنية قليلا . وكل هذه صفات تعطى لإنسان نياندرتال ـــ بصفة عامة ـــ مظهرا وحشياً فقد كان جسمه ضخما ممتلأ غير متناسق الأطراف إذ أن هذا الإنسان بصفاته العامة لم يكن كامل انتصاب القامة

بل كان منكفأ إلى الأمام مثل القردة وكان يعتبر حتى وقت قريب مرحلة من مراحل تطور الإنسان الحديث من جهه الفردى وكان يسمى بالإنسان الأول Homo prigmensis (١) .

وقد كان إنسان نياندرتال يدفن موتاه وهذا فى حد ذاته دليل على بدأ ظهور الوعى الروحى ذلك بالاضافة إلى أن بعض الباحثين يذكرون أن بعض الرسوم التى تركها انسان نياندرتال على كهوف شمال افريقية ذات دلالة سحرية ، ونحن لانستبعد أن الانسان بدأ يفكر فى السحر وهى مقدمة لظهور الدين. وأنما القريب أنه بينما تمكن انسان نياندرتال من رسم صورة بديعة ملونة لحيوانات ما قبل التاريخ وصناعة تماثيل للحيوانات المعاصرة له إلا أنه عجز عن رسم مثل هذه الصور لنفسه أو عمل تماثيل للنساء وربما مرجع ذلك إلى مهابته وخوفه من الروح التى تسكن بين جنبيه ولذلك نجد أن رسوم الإنسان وجدت فى حضارة العصر الحجرى القديم الأعلى .

أما فيما يختص بتوزيع العصر الحجرى القديم الإوسط فى شمال إفريقية نلاحظ بادىء ذى بدء أن الحضارة الموستيرية حضارة أسيوية الأصل والنشأة وذلك بعكس حضارة العصر الحجرى القديم الأسفل التى نشأت فى شمال إفريقية . فقد ظهرت هذه الحضارة فى وسط آسيا ثم إنتشرت صوب الغرب عبر طريق الاستبس المحصور بين بحر قزوين وجبال الاورال إلى أوربا ونحو الجنوب لشمال إفريقية (٢) حيث عرفت باسماء الحضارة العاطرية Aterian (نسبة إلى بئر المعطر بتونس) وفى مصر باسم الحضارة الليفالوازية . وربما كانت الحضارة الأخيرة متطورة عن صناعة الشظايا الاشولية القديمة وهى تتمثل

---

(١) يسرى الجوهرى — ص ١٨٠

(٢) من الجائز أن الاتجاهين التقيا فى شمال افريقية .

فى صحراء مصر على وجه الخصوص ، كما تكون الاساس الذى تطورت اليه صناعات العصر الحجرى القديم الاعلى حيث تطورت الصناعـــه الليفالوازيه المصريه إلى آلات حجريه صغيره رقيقه السمك .

على أى حال فيذكر مكبورنى Mc Burey أنة من الممكن إيجاد « تنوعات جغرافية » داخل الاطار الحضارى لشمال إفريقية أو بعبارة أخرى التعرف على تقاليد الحضارية الاقليمية

Technical Innovtion Differs Greatly From One Geographieal Area To The Next.(١)

وذلك على الرغم من أن صناعة الشظايا القائمة على عمليات ضرب الحجر من زوايا معينة قد عثر على أدواتها فى عدد كبير من المواقع المنتشرة من ليبيا إلى المحيط الأطلسى والتى من بينها وادى درنه فى ليبيا وكهف هوافتيح وادى جبانة Djebbana ووادى جان . هذا وتعتبر الحضارة العاطرية — من حيث آلاتها — نموذجا لصناعة الشظايا والمكاشط الجانبية ورؤوس السهام وغيرها من الآلات المميزة لمرحله العصر الحجرى القديم الأوسط . وقد عثر على هذه الصناعه فى عدة مواقع تونسيه وجزائريه ومغربيه ومن أهمها كهف الخنزيره وكهف مغار العليا وكهف دار السلطان .

وبإنتهاء العصر الحجرى القديم الأوسط بدأت مرحله حضاريه فى شمال افريقيه عرفت باسم العصر الحجرى القديم الأعلى . وفى هذا العصر بدأ تركيز اقليمى للانسان والحياه الحيوانيه والنباتيه معا فى قاع وادى النيل وعلى جوانبه حيث أقتصر مجال تنقل الانسان فى مصر بالقرب من النهر . ونظراً لأن الانسان

---

(١) ما كبورنى ص ١٢٩ .

كان يسكن فى العراء فى مراحل الحضارة الأولى فى العصر الحجرى القديم بسبب كثرة الأمطار كان من الطبيعى أن نجد آثار هـذا الانسان عـلى سطح الهضبتين الشرقية والغربية . أما المواقع المتعلقة بحضارة العصر الحجرى القديم الأعلى فقد أخذت تتركز فى الجهات التى يتوفر فيها المـاء نظراً لازدياد الجفاف وانتشار الإحوال الصحراوية خلال تلك المرحلة الحضارية .

وقد عاصر العصر الحجرى القديم الأعلى فترة نهاية جليد الفرم فتره تقهقره فى أوربا . وفى هذا العصر تنوعت الحضاره الحجريه وتطورت تطورات محليه عديده وأصبحت أخف وأدق من الآلات التى ظهرت فى العصور السابقه ذلك إلى جانب تقدم فن الرسم ونحت الاحجار وصناعه التماثيل .

وقد إنقرض إنسان نياندنال تماما من شمال إفريقيه مـع بدايه هـذا العصر وحل محله الإنسان العاقل ولا نعرف كيف إنقرض أو اختفى هـــذا الإنسان ولـكن من السهل أن نمكن بأنه هزم بواسطه أنواع أخرى أكثر ذكاءآ وأدق تنظيما وأقوى سلاحا ، ومثلهم فى ذلك مثل الدناصـر التى إنقرضت بعد أن تغيرت البيئه الجغرافيه ووجدوا أعداء أقوى منهم .

على أى حال فقد تمكن الإنسان العاقل فى عصر البلايستوسين الاعلى من أن يعمر فى أجزاء كثيره من العالم بمـا فيها شمال إفريقيه ، وأن يقيم حضارة النصال فى العصر الحجرى القديم الاعلى . ولانعرف بالتأكيد أين ظهرت هذه الحضاره ولـكن الادلة الحديثة تشير إلى منطقه غـــرب آسيا . والشىء المؤكد الوحيد هو أن كل تحركات العصر الحجرى القديم الاعلى ـ إن صح هذا التعبير ـ انحسرت فى نطاق محـــدود وهو قاره أوراسيا ابتداء من فرنسا وحتى سهول جنوب روسيا وإيران .

أما إفريقية فقد أحتلت المركز المنحدور الذى تربعت عليه قارة آسيا ابان العصر الحجرى القديم الأسفل اذ أن القـــارة الأولى التى شهدت نشأة كل من الإنسان البائد والعاقل والتى على أرضها تفتحت أول بذور المدنية لم تساهم بنصيب فى التطور خلال الفترة الجليدية الأخيرة .

ونظراً لأن العصر الحجرى القديم الأعلى كان فترة امتازت بالثورة الحضارية لما طرأ على صناعة الآلات الحجرية من تقدم سريع فإن النمط الحضارى لهذا العصر يمتاز بالتعقد عن أى فترة حضارية أخرى ومن ثم فقد أشتمل هذا العصر على عدة حضارات وهى الحضارة الاورنياسية والسولترية والمجدلانية. والوهرانية وفى مصر بالحضارة السبيلية (شكل ١٦) .

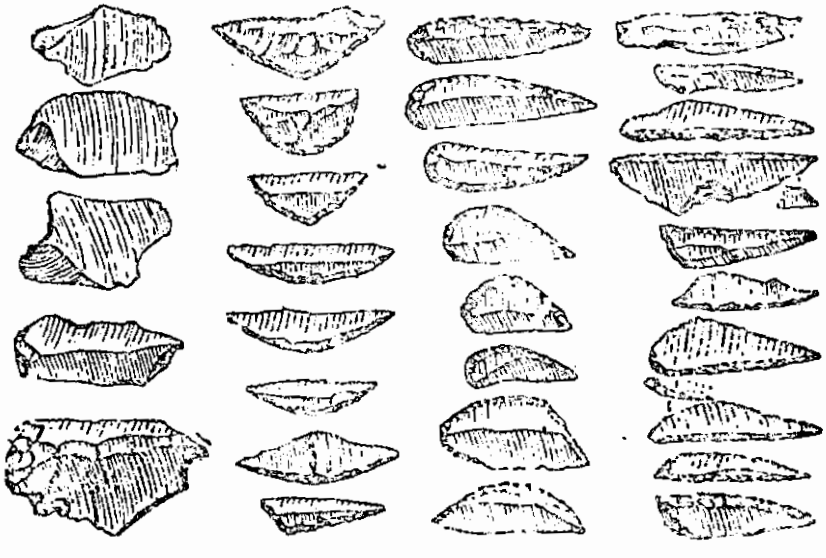

شكل (١٦) بعض أدوات العصر الحجرى القديم الأعلى فى شمال افريقية

وقـــد ظهر أصحاب حضارة النطال فى افريقية فى فترة متأخرة عن قارة أوراسيا ومن ثم فقد استمر سكان القارة يمارسون التقاليد الاشولية والليفالوازية

فى أثناء الفترة المطيرة المعروفة باسم جامبليان Gambian وبذلك تخلفوا عن ركب التقدم الحضارى فى الشمال فنسيهم التاريخ (١) .

وفى شمال إفريقية أختلف الصورة عن بقية أجزاء القارة فنشأت الحضارة العاطرية فى أقصى شمال غرب الساحل الشمالى لإفريقية ومن ثم إنتشرت عن طريق جماعات « نشطة » صوب الشرق . ويبدو أن هذه الحضارة قد تطورت محلياً من الحضارة الموستيرية ، غير أن أصحابها قد برعوا فى صناعة الصوان فاستخدموا بين طرق صناعته طريقة الشطف عن طريق الضغط الأمر الذى يجعلنا نعتقد أن أصحاب الحضارة العاطرية كان لهم صلة بالحضاره السولنيرية باوربا ، هـــذا ويرجع الفضل لأصحاب هـــذه الحضاره فى إختراع القوس والسهم ورؤوس الحراب الصغيره التى تشبه تلك التى ظهرت فى الحضاره السولترية وكانت على هيئة ورق الصفصاف . وقد أمتد نفوذ الحضاره العاطرية إلى مصر فوصل تأثيرها إلى الواحة الخارجة مع نهاية العصر الحجرى القديم ، وربما وصل تأثيرها إلى أسبانيا قبل ذلك لتاريخ عن طريق مضيق جبل طارق .

فى هذه المناطق الشمالية تمكنت التقاليد الحقيقية لحضاره النصال الخاصة بالعصر الحجرى لقديم الأعلى من أن تظهر متأخره فى إفريقية . وقد كان أول هذه الحضارات ليس كما عـــرف فيما سبق الحضاره القفصية بل حضاره دابا Dabba Culture التى ظهرت فى فتره متقدمة فى إقليم الجبل الأخضر بليبيا . وأعتقد أن أصحابها وفدوا من الساحل الشرقى للبحر المتوسط . وتتميز هذه الحضاره أساساً بالنصال ذات القاعده التى تنتمى إلى التقاليد الحضارية فى أوربا وجنوب

---

(١) تطورت حضارة ستيلباى فى شرق افريقية عن الحضارة الليفالوازية بينما ظهرت الحضارة الماجوسيانية Magosian لتبين تدهور التقاليد الليفالوزية .

غرب آسيا غير أنها طورت أخيراً بعض صفاتها المحلية .

وقد ظهرت بعد ذلك الحضارة الوهرانية Oranian Culture على الساحل الشمالى لسلسلة جبال أطلس ببلاد المغرب وتتميز هذه الحضارة بالنصال الصغيرة ذات القاعدة Backed Blade ، وربما أرجع نشأتها إلى هجرة أسبانية أو إلى تأثير حضارات العصر الحجرى القديم الأعلى المتأخر ، ويرجع تاريخها إلى الفترة ما بين ١٥ — ١٢ ألف ق. م.

ثانيا — العصر الحجرى المتوسط

ويبدو أن أصحـــاب حضارة دابا تمكنوا فى حوالى ١٠٠٠٠ ق. م. أن يعيشوا على طول السفوح الجنوبية لجبال أطلس ، تلك السفوح المواجهة للصحراء فى الجزائر وتونس حيث أقاموا الحضارة القفصية هناك . وقد اشتملت الحضارة القفصية فى مراحل تكوينهـا الأولى على نصال خلفية مقوسة كبيرة تشبه إلى حد كبير نصال شاتلبورن غرب أوربا الأمر الذى أيد الاعتقـــاد القديم بأن هذه حضارة نصال مبكرة فى أفريقية (١) .

على أى حال فمن المعروف الآن لدى المهتمين بدراسات ما قبل التاريخ أنه منذ بداية هذه الحضـارة وهى تحتوى على أدوات صغيرة تقترب من الأدوات الميكروليثية ، كما أنها فى المرحلة النهائية منها حينما انتشرت شمالا وشرقا على طول ساحل البحر المتوسط كان من بينها أدوات ميكروليثية تنتمى إلى العصر الحجرى المتوسط بأوربا. ويتضح مما سبق ذكره أن الحضارة القفصية العليا upper Capsian تنتمى إلى الحضارة العصر الحجرى المتوسط. التى جاءت عقب إنتهاء الجليد إذ

(1) Hawkes J. and Woolley L., prehistory and the beginnings of civilization. 1964 p, 88.

أن طريقة التحليل الكربونى ١٤ تعطى للحضارة القفصية الحقيقية أو الوجه الأول منها حوالى ٦٨٠٠ ق. م.

أما من ناحية لتاريخ الجنسى لشمال إفريقيه فى هذه لفترة فنلاحظ أنه بينما صاحب الحضـــارة الوهرانية فى كل المواقع التى وجدت فيها أناس امتازوا بالعضلات القوية والحواجب السميكة التى تذكرنا بانسان كرومنيون ، نجد أن أو أصحاب الحضارة القفصية كانو إناساً أصغر حجما وأدق تقاطيعاً من الوهرانين أو أصحاب الحضارة الوهرانية ، وكانوا يشبهون الناطوفيين ويمثلون طلائع سلالة البحر المتوسط التى سادت فيما بعد فى هذا الإقليم (١) .

وما هو جدير بالذكر أن هناك اتفاقاً عالمياً بين الباحثين نحو طريقة إنتشار حضـارات العصر الحجرى القـديم الأعلى ، وظهور حضـارة العصر الحجرى المتوسط فى شمال أفريقية على النحو السابق لذكر إذ أن هذا التتابع يساعد على تفسير كثير من الحقائق المعروفة .

هذا ويصر بعض لباحثين على أن الحضارة القفصية قد بدأت فى وقت مبكر عن الوقت الذى أعطى لها (٢) ، ويذهب البعض الآخر للقول بأن الفن الذى وجد على صخور الكهوف بشرق أسبانيا إنما يرجع إلى غزو الحضاره القفصية إلى شبه جزيرة إيبريا . وحتى لو فرض أن الفن الموجود فى شرق أسبانيا ليس من صنع الحضاره القفصية فما لا شك فيه أنه قد ازدهر فى وقت كانت الحضاره القفصية سائدة فيه على الجانب الآخر من البحر المتوسط وأنه ربما كان له بعض قرابة بالفن الصخرى فى الصحراء .

---

(1) I Bid, p, 90.

(2) Burkitt, M., prehistory, Camridg p. 149,

وقد وجد الفن الصخرى الإفريقى على طول الحافة الجنوبية لجبال أطلس(٢) كما وجد أيضاً جنوباً فى جبال الحجار وفى أجزاء متفرقة فى جنوب طرابلس وهضبة تسبتى والجلف الكبير ، وأيضا فى بلاد النوبة . وقد أشتمل هذا الفن على بعض الأمثلة الدقيقة لصور طبيعية للحيوانات المفترسة ولا سيما الفيل والزراف والأسد ، وربما كانت هذه الصوره هى أقدم فن ، ومثلها فى ذلك مثل المجموعات المختلفة من الحيوانات المستأنسة التى ظهرت فيما بعد فى الفن المصرى .

ويبدو أن أصحاب الحضاره القفصيه الذين لاموا حياتهم فيما بعد لمقتضيات حياه العصر الحجرى الحديث فى وادى النيل هم المسئولين عن هذا الفن المبكر.

والخلاصة أن الحضاره القفصية هى حضاره النصال الحقيقيه فى شمال إفريقية، إذ ظهرت فى بادىء الأمر كحضاره للعصر الحجرى القديم الاعلى بنصالها ومكاشطها المعروفه غير أنها تطورت فى العصر الحجرى المتوسط إلى الآت ميكروليثيه ذات أشكال هندسيه منظمه بعضها على شكل قوس و لبعض الاخر على شكل مثلث وهكذا . وقد وجدت فى هذه الحضاره أيضا أوانى مصنوعه من أصداف بيض النعام ومزينه برسوم هندسيه ، وكذلك عرف أهل هذه الحضارة تأليف العقود من حبات الخرز المختلفه الالوان (٢) .

أما عن الحضاره السبيليه Sebilian culture التى ظهرت فى مصر (٣) وتنتمى إلى أواخر العصر الحجرى فقد إنحدرت من الحضاره اللفالوازيه حيث صنعت

---

(١) لاوديث دوبوكودو — فن الرسوم الصخرية بالصحراء المورتنيه — ترجمة أحمد الأخضر ، البحث العلمى — المركز الجامعى للبحث العلمى الرباط — ١٩٦٦ — السنة الثالثة — العدد الثالث .

2 — Hawkes, op. cit. p. 119.

(٣) يلاحظ أن حضارة مصر فى عصورها قبل التاريخ وحتى العصر الحجرى القديم —

الالات — فى المراحل الأولى من تكوينها — من شظايا ليفالوازية صغيرة ذات حافات مشذبة ، وعلى الرغم من إستمرار طرق الصناعة الميفالوازية فى المراحل المتأخرة من الحضارة السبيلية إلا أن الالات أصبحت أصغر وأمتازت فى بادىء الأمر بالالات الميكروليثية التى تشبه الالات الناطوفية . والمرحلة الأخيره من الحضارة السبيلية يمكن قبولها على إنها حضاره العصر الحجرى المتوسط .

والعصر الحجرى المتوسط Mesolithic — كما نعلم — تعبير محدود يستخدم فقط للاشاره إلى الانتشار الواسع لسلسلة الحضارات التى كان من بعض مميزاتها الهامة ظهور الالات الحجرية والصوانية ذات الأحجام الصغيره جداً والشكل الهندسى الدقيق . وقد كان هذا الاتجاه الجديد نحـــو صناعة الالات الصوانية الميكروليثية اتجاه أقتضته ضروره تغير الظروف الجغرافية فى أعقاب الفترات الجليديه فى أوربا والمطيره فى شمال إفريقية إذ حـــدث تغير كبير فى الحياه الحيوانيه والنباتيه عقب تقهقر الجليد نهائياً . وقد أدى هذا التطور السيء إلى تطور عـدد من حضارات العصر الحجرى القديم الاعـــلى كالحضاره السبيليه والحضارات الاخرى المشابهه لهـا فى إفريقيه وأوربا .

ولعل من الاسباب التى دفعت أصحـاب حضاره العصر الحجرى المتوسـط لتطوير الاتهم نحو الميكروليثيه وفره الاخشاب التى صنعوا منها مقابض لإدواتهم ذلك إلى جانب أن حيوانات فتره أحسن المناخ — وهى الفتره المعاصره لهـذه الحضاره — كانت أصغر من تلك الحيوانات التى تعيش فى أثناء الفترات السابقه

— الاهقلا تختلف كثيراً عن حضارات العصر الحجرى القديم الاعلى فى شمال افريقية ، وانما الميزة التى أمتازت بها هذه الحضارة فى مصر هى انها كانت ملتقى الحضارات القادمة من جنوب أسيا الى شمال افريقية أو الذاهبة من شمال افريقية الى الشرق .

ومن ثم لايستدعى صيدها وجود أسلحة ثقيلة ، ذلك بالإضافة إلى أن الحصول على قطـــع صوان كبيرة الحجم فى ذلك الوقت كان أمراً أصعب من الفترات السابقة .

وإذا كانت أسباب ظهور الالات الميكروليثية فى العالم قاصرة عن تعليل وجودها (١) إلا أن هناك إتجاه قوى نحو تأييد إنتشار هذه الحضارة عن طريق الهجرات البشرية وليس عن طريق الاستعارة الفكرية . وبعبارة أخرى نجد أن عناصر من أصحاب الحضارة القفصية المتضمنه أدوات ميكروليثية ذات أشكال هندسيه معينة قد نجحت فى أن تأثر فى بعض سكان العصر الحجرى المتوسط فى قارة أوراسيا . ونعرف على وجه الدقه إذا ما كان أصحاب الحضارة القفصية فى شمال إفريقية قد لعبوا بأنفسهم دوراً فى هذا الانتشار أم لا . ولكن من المؤكد أن هذا التأثير قدم إلى أوربا من الجنوب ، وربما أيضا من جنوب غرب آســـيا .

ثالثا ـ العصر الحجرى الحديث

كان العصر الحجرى المتوسط مرحـــلة انتقاليه إلى فترة حاسمة فى تاريخ الإنسانية ليس فحسب بالنسبه لشمال إفريقية بل بالنسبة لبقية أجزاء العالم ، وتعرف هذه المرحلة الجديده باسم العصر الحجرى الحديث **Neolithic** أو الثوره الإنتاجية الأولى لإن الانسان أصبح لأول مره منتجا للقوت بعد أن كان مجرد مستهلكاً له . وهذه خطوة خطيره فى تاريخ البشرية إذ نقلت الإنسان من حياة الأنتقال وراء حيـوانات الصيد أو بحثا عن الثمار يلتقطها إلى حيـــاة تتسم

---

(١) هناك مناطق ظهرت فيها الآلات الميكروليثية ولم يوجد بها نطاق غابى عقب انتهاء العصر الجليدى .

بالاستقرار فى قرى والارتباط بالأرض والزراعة والرى والتعاون من أجل البقاء أو إلى حياة بدوية منظمه يرعى فيها حيوانا اختاره من المملكه الحيوانية وروضه استأنسه .

ولم يقتصر التطور الذى حدث فى العصر الحجرى على التحول من حياه الارتحال والانتقال إلى الاستقرار فحسب بل شمل أيضاً تغيرا جذريا فى الآلات التى ظهرت أو تطورت فى هذا العصر لتلائم طبيعة المجتمع الجديد المرتبط بفلاحة الأرض وحصد الزرع وشق الترع وبناء الجسور .

هذا ويرى الأستاذ جوردن تشايلد (١) أن الزراعه كانت اقتضتها تغير الظروف المناخية بالنسبة لشمال إفريقيه بعد انتهاء الفترات المطيره ، وقد ترتب على ذلك أن مساحات كبيرة من شمال إفريقيه قد تحولت من مروج خضراء تسود بها حياة نباتية غنيه إلى إقليم صحراوى حيث حل الجفاف لتدريجى محل المطر . وتبعا لذلك ذوت الحياه النباتية ونفقت الحيوانات اللهم إلا فى المناطق التى توفر بها النـــذر اليسير من الماء حول العيون والابار وفى بطون الأودية الجافه حيث يقترب مستوى الماء الباطنى ، أو فى بعض الواحات التى اجتذبت الإنسان والحيوان معا .

ومعنى ذلك أن إمكانيات قيام الزراعة واستأنس الحيوان كانت محصورة فقط فى تلك الواحات القليلة المتناثرة فى الصحراء أو فى مجارى الانهار القليلة كنهر النيل الأدنى . وقد كان من الصعب التوصل لاكتشاف الزراعة واستأنس

---

(١) الى جانب نظرية جوردن تشايلد ظهرت نظريات أخرى متعددة لنشأة الزراعة ومن أهم هذه النظرية نظرية الأستاذ (Sauer) التى وردت فى كتابه Agricultural Origins and Dispersals, N.Y., 1952, وتنادى بأن الزراعة نشأت فى جنوب شرق آسيا .

الحيوان فى وقت كان الإنسان فيه يستطيع أن يستمر فى حياته القديمة ، إنما لجأ إلى الزراعة مضطراً بعد أن قلت موارد المياه وهربت الحيوانات .

وقد كان على الإنسان أن يحافظ على الحيوانات التى أستأنسها ولا سيما الحيوانات ذات الظلف لأنها أصبحت تتصل بحياته أتصالا مباشراً سواء كان ذلك فى الحقل أو كمورد رزق ثابت يمده بالالبان . ويبدو أنه كان هناك تقارب وتجارب بين الحيوانات العشبية والإنسان ضد الحيوانات المفترسة اذ كان من مصلحة الحيوانات الأولى الضعيفة الحيلة أن تعيش إلى جانب الإنسان بعد أن عزت مـــوارد الرزق وأنحسرت فى بطون الأودية وعلى ضفاف الأنهار وفى الواحات . وقد كان من مصلحة الطرفين أن يقضيا على الحيوانات المفترسة ويعيشا جنبا إلى جنب .

هذه هى الصورة التى رسمها جوردن تشايلد لنشأة الزراعـة فى شمال افريقية فكأن الظروف المناخية فى أواخر عصـــر البلايستوسين هى التى حتمت على الجماعات البشرية القليلة المتناثرة فى مساحات واسعة تعيش فى أماكن محـــددة وضيقة مثل الواحات ووادى النيل الذى يعتبر فى حد ذاته واحه طويلة فى وسط الصحراء . فمع ظروف الجفاف لجأ انسان الصحراوات الشرقية والغربية إلى الوادى الذى كان بدوره مليئا بالمستنقعات التى احتوت على البوص والاقصاب البرية التى كان يعيش بها الحيوانات البرية المختلفة . ومن ثم كان على الإنسان فى مصر أن يبدأ معركه كبيره فى سبيل التغلب على صعوبات البيئة المحلية وفى سبيل تجفيف المستنقعات وقطع البوص والقضاء على الحيوانات المفترسة وتهيئة مجرى النيل وبعباره أخرى أستأنس هذا المجرى وأعد الحقول الزراعية ، ثم خطط الحياض ، وشيد القرى فوق أكوام صناعية من الحجاره حتى لا يطغى الفيضان عليها كل عام .

ويمكن تقسيم حضاره العصر الحجرى الحديث فى مصر منذ بدايتها فى الألف السادسة أو الخامسة ق.م . إلى نوعين أحدهما فى مصر العليا والأخرى فى مصر السفلى ، ولكن ليس معنى ذلك أن حضاره الصعيد كانت مختلفة تماما عن حضاره الدلتا إذ وجدت صفات مشتركة كثيره بينهما ، ليس فقط من ناحية طرق الحياه العامة المماثلة فى الاكتفاء الذاتى لمجتمعات الفلاحين الذين مارسوا الزراعة المختلطة ولكن أيضا فى الاتجاهات الحضارية (١) .

وليست قلة الآثار فى الدلتا عن الصعيد دليل على أن المنطقة الاولى أقل حضاره من الثانية فى تلك الفتره إذ كانت فى الدلتا حضاره راقية أرتبطت بحضارات جنوب غرب آسيا غير أنه بسبب طبيعة الدلتا الطمية ، والتغير المستمر فى المجارى المائله ، وزياده الرطوبة فى الارض قضى على الاثار كلها .

ومعظم المحلات العمرانيه كانت تقوم على حافه الوادى (شكل ١٧) ولهذا دلالة خاصه وهى أن الإنسان فى بدايه هبوطه من الهضبه إلى الوادى كان يتوخى تشييد مجمعاته العمرانيه فى المنطقه التى لا يغمرها مياه الفيضان . وبطبيعه الحال حين تعلم المصرى كيف يهذب مجرى النهر وتقدم فى المدينه هبط للسكن بجوار النهر .

وتعتبر حضاره ديرتاسا بالوجه القبلى أقدم حضاره حجريه حديثه عرفت حتى الان فى مصر حيث يمكن أن نتتبع منذ بدايتها وبدون أنقطاع نمو الحضارة المصرية حتى بدايه عصر الاسرات . ولكن فى ضوء ما سبق ذكره بشأن أسباب قله الاثار فى الدلتا فهناك أحتمال كبير فى أن أول الجماعات الزراعيه

---

(١) أضواء العصر الحجرى الحديث ـ ثلاث فصول مترجمة من كتاب (ما قبل التاريخ وبدايات المدينة) تأليف ج هاوكس وترجمة يسرى الجوهرى ـ بيروت ـ ١٩٦٧ ـ ص ٤٧

وجدت فى مصر السفلى بعد أن قدمت بطريق الساحل من فلسطين . والدلالة على هذا الاتصال وجود مركز للحضارة الناطوفية بحلوان .

على أى حال فلدينا فى الدلتا حضارتان تنتميان الى العصر الحجرى الحديث وهما حلوان الأولى ومرمدة بنى سلامة بينما فى مصر العليا ديرتاسا والبدارى. أما فى منخفض الفيوم فتوجد أيضا حضارة تنتمى الى أواخر العصر الحجرى الحديث وأخرى تنتمى الى بداية عصر المعدن فى وادى النيل .

وقد وجدت حضارة الفيوم « أ » على ضفاف بحيرة قارون على أرتفاع ١٠ متر فوق سطح البحر ويمكن ربط هذه الحضارة بفترة أحسن المناخ أى فى الألف الخامسة ق . م . وقد كانت محلات العصر الحجرى الحديث بالفيوم تتكون من أكواخ بسيطة بدليل عدم وجود كثير من البقايا اللهم بعض المواقد وحفر مبطنة بالحصير لتخزين الحبوب .

ومنذ البداية عرف فلاحو الفيوم الحضارة الكاملة للعصر الحجرى الحديث فزرعوا القمح من نوع Emmer وكذلك الشعير ، وأستأنسوا الماشية والاغنام والماعز والخنازير ، كما زرعوا الكتان ونسجوا منه الأقمشة ، ذلك بالاضافة الى صناعة الفخار غير المزخرف والسلال الدائرية الجيدة الصنع . أما المناجل التى أستخدموها فى حصد محاصيلهم فكانت مستقيمة تنتهى بأسنان صوانية وتشبه تماما تلك الموجودة فى الحضارة الناطوفية فيماعدا اليد فكانت مصنوعة من الخشب .

وتدل الآثار التى عثر عليها فى الفيوم أن سكان العصر الحجرى الحديث ظلوا يمارسون الصيد البرى والبحرى الى جانب الزراعة ، وكان فرس النهر من بين الحيوانات التى أصطادوها . ويظهر أن السكان كانوا أكثر أعتماداً على الرعى

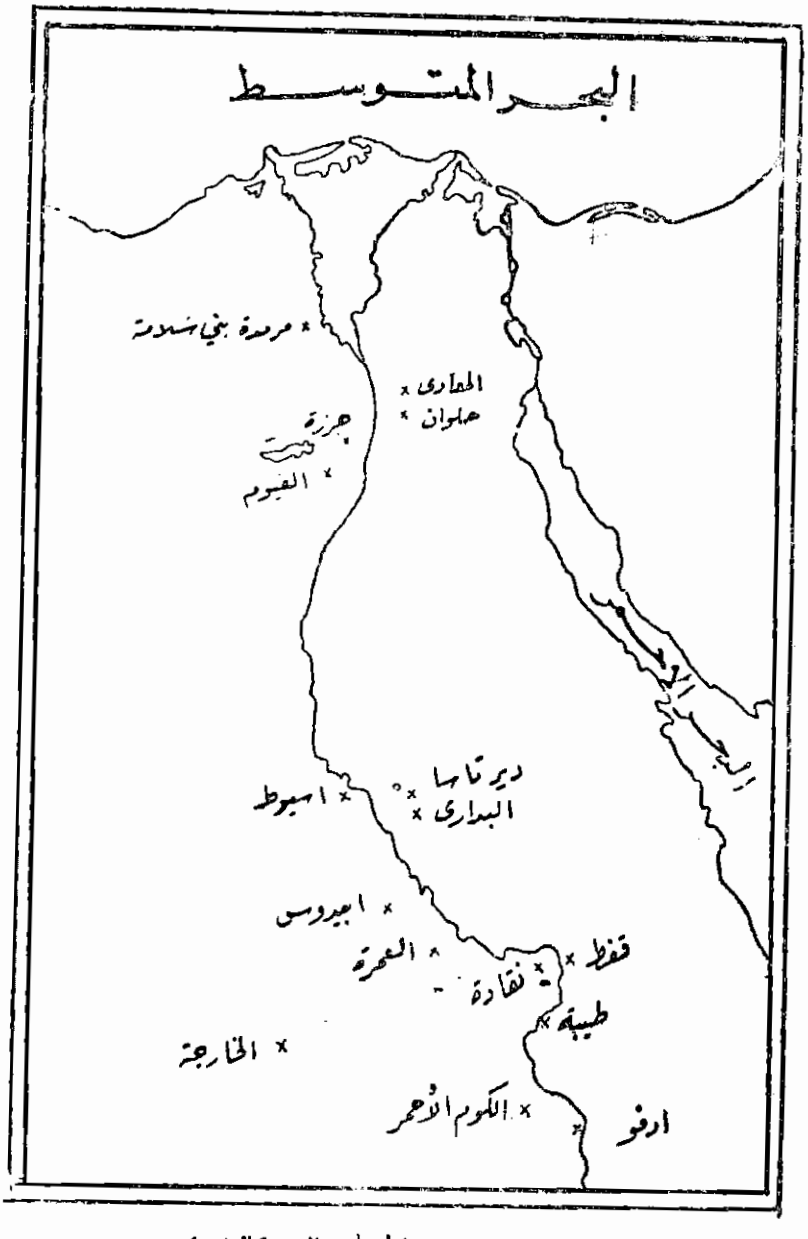

شكل ١٧ - مواقع الحضارة المصرية القديمة

من الزراعه لأن المطر كان يسير حثيثا نحو الجفاف ، وسكان الفيوم كانوا بعدين عن النيل . وهـــذا هو السبب الذى جعلهم يركنون للرعى . وكما هو متبع فى معظم مجتمعات العصر الحجرى الحديث كانت الأدوات الشخصية للزينة هى الشىء الوحيد المستورد فى الاقتصاد . وقد زين أهل الفيوم أنفسهم بالأصداف التى أحضرها من البحرين المتوسط والأحمر وفى بعض الأحيان من المحيط الهندى . ذلك بالإضافة إلى الآلات الموسيقيه المزركشة التى أحضروها من وسط الصحراء أو من الصحراء الشرقية هذا ولم يعثر على مدافن فى أى مكان بين محلات الفيوم الأمر الذى يوحى بضرورة وجود جبانات بعيداً عن المنازل .

أما مرمدة بنى سلامة (١) التى تمثل المرحلة النهائية من حضارة العصر الحجرى الحديث فى مصر السفلى فتقع على الطرف الغربى للدلتا فوق حافة رملية. وتبلغ مساحة المحلة العمرانية فى مرمدة حوالى ٤٠٠ متر مربع وتضم أكواخ ذات شكل دائرى ومداخلها من الجنوب (٢) . وقد كانت صناعة الأكواخ فى مرمدة واهية فى بادىء الأمر ولكن تمكن الفلاحون بعد ذلك من صنع أكواخهم من الأعمدة الخشبية والبوص ، ثم استخدموا فى فترة لاحقة الطين لكى يتمكنوا من صنع مأوى جيد يصمد أمام العواصف الرمليه ويحول دون إنتشار الأمراض بينهم .

ويبدوا أن لكل أسرة كان بها كوخ ذات فناء أو حديقة خاصة ، وجميع الأكواخ نظمت على هيئة صفوف ربما لكى تحدد الطرق الزراعية وبصفة عامة

(1) E. L. Gowhary, Y., The Ancient capitals of Egypt (4241 B. C. — 332 B. C.), Bulletin of the Faculty of arts, Alexandria University, Vol, XIX, 1965, p. 3

(2) Huzayyin, S., The place of Egypt in prehistory, Cairo, 1941, p. 300.

كانت الاكواخ تشبه إلى حد كبير تلك التى وجدت فى الفيوم فيما عدا أن الحبوب بدأت تختزن فى قدر كبيرة وذلك مع نهاية العصر الحجرى الحديث ورغم وجود اختلافات فى شكل فخارهم وأدواتهم وأسلحتهم وممتلكاتهم الشخصية إلا أن هناك كثيراً من الصفات المشتركة بين هذه الحضارة وحضارة الفيوم ، وأيضاً بصورة أقل بحضارة دير تاسا .

أما عن الموتى فقد دفنوا بين الأكواخ ووضعوا القرفصاء وفى العاده كانوا يوجهون نحو الشرق ولم يوضع معهم طعام أو أى أثاث جنائزى آخر . وعلى الرغم من وجود بعض الضعف فى الإطار العام للتأريخ إلا أنه من المؤكد أنه فى أثناء تطور حضاره الفيوم فى الشمال نحو مرمده وجد فى مصر ثلاث حضارات متتابعة وهى دير تاسا والبدارى والعمره وجميعها حضارات حجرية حديثة مصرية الطابع يظهر بينها بعض الصفات الإفريقيه المميز التى تبلورت فى الحجارة المصرية .

وقد عرفت المعسكرات التى نشأت على الحافات الصخرية عند دير تاسا بالقرب من البدارى بأنها تعتبر من أقدم المحلات التى أنشأتها الجماعات الزراعية فى مصر (١) . وبالتأكيد كانت هذه الجماعات بدائية للغاية رغم أنهم زرعوا القمح من نوع Emmer وكذلك الشعير وطحنوا غلاتهم فى رحى كبيرة ويبدو أنه كان لديهم قطعان من الماشية والأغنام .

هذا ويعتقد بعض الباحثين أن حياة سكان دير تاسا ربما كانت تشبه حياة الهدندوه الذين كانوا حتى وقت قريب رعاه بالصحراء الشرقية ولكن أنشأوا لهم حديثا قرى ثابتة بالقرب من النيل الأزرق ويعودون إليها بانتظام لزراعة

---

(1) Alimen, of cit., p. 105.

المحاصيل بعد الفيضان السنوى . وسواء كانت معسكرات دير تاسا قرى صيفية من هذا النوع أو لم تكن فلا بد ألا ننسى أنهم لايعطون صورة كاملة عن الحياة الزراعية الأولى بالنيل .

وقد أشتغل التاسيون إلى جانب الزراعة بطحن الغلال والغزل وصناعة الفخار وصيد الأسماك وطيور الماء وحيوانات المستنقعات وذلك بالإضافة إلى رعى الماعز فوق الأراضى الفيضية المنتشرة .

أما عن موتاهم فقد وضعوهم منحنين أو فى وضع القرفصاء ، أو لفوهم بالجلود ودفنوهم فى أكفان من القش ، وهذه المقابر القليلة المتناثرة تكفى للاشارة إلى أن هذه الجماعات كانت صغيرة العدد ومتنقلة .

أما عن حضارة لبدارى (١) فربما كانت حضارة متطورة عن دير تاسا غير أن نطاق معرفتها كان أوسع حيث أمتدت من البدارى نفسها جنوبا إلى أن وصلت إلى أرمنت كما وجدت فى وادى الحمامات . وقد كان البداريون على النقيض من سابقيهم رعاه ماشية رغم أنهم زرعوا القمح والشعير . ونظراً لوفرة الصيد على الهضبة وكذلك فى روافد الأودية فقد خرج البداريون للصيد بالقوس والسهام. ولكن فى صيد الأسماك أستخدموا سنانير من الاصداف أخذوها عن أصحاب حضاره دير تاسا .

وبالنسبة لاكواخ البدارى كانت شبيه بالاكواخ التى وجدت فى مرمده فهى عباره عن مأوى بسيط من الحصير (٢) .

---

(1) Baumagartel. E J The culture of prehistoric Egypt, Loudon 1947, p 220 & chilge ob, clt· p. 21.

(2) Alimen op. cit. p. 711 .

وقد كان البداريون صانعى فخار من الدرجة الاولى أمتازوا بالمهاره والدقة فصنعوا فخاراً رقيقا ذات لون بنى أو أحمر ، كما إستخدمـــوا البازلت فى صناعة بعض القدر إلى جانب العاج الذى أستخدم فى صناعة بعض الادوات المنزليه ونظراً لان قطعان الفيلة كانت لاتزال تعيش على الهضبة فقد قدمت الماده الخام اللازمة لصناعة الخـرز العـاجى والدبابيس، وغيـرها من أدوات الزينة كمصنع الامشاط التى تزدان بها النساء .

ومن هذا يبدو أن سكان البدارى كانوا يعيشون فوق مستوى الكفاف إلى حد ما مع وجود مواد خام إستخدموها فى تجميل أنفسهم وممتلـكاتهم . ويظهر هذا بوضوح فى مقدرتهم على الاحتفاظ بقليل من التجاره فى سلع الترف حيث أحضروا الدهنـج Malachite لـكحل العين من سيناء أو النوبة والاصداف من البحر الاحمر ، والاحجار النصف قيمة مثل الفيروز ، وخشب الارز — الذى أعتبر أهم سلعه مستورده - وخشب الصنوبر من سوريا .

أما عن القوارب الصغيره التى أستخدموها فى الملاحه النهرية فهناك دليل يثبت أنهم صنعوها ويتلخص هذا الدليل فى نماذج فخارية للقوارب .

وعلى الرغم من أن جبانات البدارى كانت صغيره إلا أنها كانت من الكبر بحيث تبرهن على نمو السكان . وقد وضع الموتى فى المقابر على هيئه القرفصاء ولفوا بالجلود كما فعل أهل تاسا ، ووضع معهم أوانى مملوءه بالطعام والشراب . وعلى أى حال إذا كانت حضارة البدارى أظهرت إقتصاداً ماديا سمح بصناعة أدوات الترف وإستيراد المواد الخام الغاليه فحضاره العمره التى تبدو وكأنها انحدرت مباشره منها ، تقترب كثيراً من بدايه الحضاره أو بعبارأخرى المرحلة النهائية من العصر الحجرى .

والاسس الاقتصادية لحضارة العمرة كانت أكثر قوة من الحضارات السابقة إذ أن العمريين لابد وأنهم بدأوا زراعة منظمة فى السهل الفيضى للنيل رغم أنه لايوجد دليل حتى الآن للرى الصناعى . وقد ربوا الماشية والأغنام والخنازير كما أستأنسوا الحمار كحيوان لحمل الاثقال ذلك بالاضافة إلى أنهم عرفوا لصق أوراق البردى جنبا إلى جنب مع صناعة القوارب التى تذكرنا بتلك التى استخدمت فى النقل ابتداء من العصر الفرعونى وحتى وقت قريب .

ورغم أن الصيد ظل يسهم بنصيب كبير فى الطعام إلا أن الأساس الاقتصادى المتين لطرق حياتهم أدى إلى زيادة سكان العمرة زيادة كبيرة ، فسكنت القرى بصفة دائمة ، كما أستخدمت المقابر اجيالا وأجيال إلى أن أحتوت على حوالى ٢٠٠٠ مقبرة .

أما فيما يختص بحرف سكان العمره فقد تطورت فى جميع نواحيها عن تلك التى ظهرت بين أسلافهم سكان البدارى فيما عدا صناعة الأوانى التى أتصف برداءه صناعة فوهاتها السوداء . وفى هذه الحضاره وصلت صناعة لشظايا الصوانية المضغوطة إلى درجة عالية من الاتقان من حيث الفن والشكل ذلك إلى جانب أنهم أستخدموا الأنوال الرأسية فى صناعة النسيج ، كما أضافوا فى هذه المرحلة الذهب إلى جملة المواد الغالية المستورده للزينة . وأستخدموا النحاس المحلى فى صناعة الدبابيس ورؤوس السنانير .

ويبدو أن العمريين — كما تشير إلى ذلك أشكال أوانيهم الحجرية ولوحاتهم — بدأو يظهرون الروح الحضارية الخاصة Culture form التى ميزت التاريخ الطويل للحضاره المصرية . وهذه الروح تظهر بوضوح فى عادات الدفن وغيرها من المراسيم الدينية . على أى حال فالعمريين مازالو أساساً جماعات من فلاحى

العصر الحجرى الحديث يعيشون فى قرى كبيره وغاية ما فى الأمر أنهم يمثلون نهاية طريقة حياه العصر الحجرى الحديث التى تهتم بها فى مصر .

أما بالنسبة لبلدان المغرب فقد أختلفت ظروف الإنسان هناك أثناء العصر الحجرى لحديث اختلافاً بينا عن ظروف الإنسان الذى عاش فى مصر وفى منطقة الشرق الاوسط إذ أن البيئة المغربية القديمة قد دفعت بسكانها حينئذ إلى الاتجاه للرعى إلى جانب بعض الانتاج الزراعى المحدود وذلك على النقيض ما حدث فى وادى لنيل وفى لعراق .

ومن المعروف لدى المهتمين بدراسة ما قبل التاريخ أن العصر الحجرى الحديث ظهر فى بلاد المغرب فى فتره لاحقة لنشأته فى منطقة الشرق الاوسط إذ بينما بدأ فى المنطقة الأخيره حوالى الألف السادسة ق.م. تأخر حتى الألف الخامسة ق. م. فى المغرب وأستمر هناك حتى الالف الثانية ق.م. فى نفس الوقت الذى تطورت فيه الحضاره المصرية وعرف المصريون أستخدام النحاس وسبب هذا التأخر لبيئة الجغرافية التى تطلبت من الإنسان مجهوداً كبيراً للتغلب على صعوباتها ولا سيما من حيث الموارد المائية .

وقد حمل حضاره العصر الحجرى الحديث إلى شمال وشمال غرب إفريقية عناصر بشرية تنتمى أساساً لسلالة البحر المتوسط التى خرج مزارعوها من منطقة الشرق الاوسط (١) وتقدموا لنشر حضارتهم على طول الشواطىء

---

(١) يذكر سيرجى أنه لم يكن من المتوقع أن تنشأ سلالة البحر المتوسط فى منطقة حوضه إذ أن هذه المنطقة بحكم موقعها الجغرافى وطبيعتها كانت منطقة التقاء وامتزاج حضارى وجنسى بين شعوب عديدة لذلك فانه يرجع أن هذه السلالة نشأة فى شرق إفريقية . والبعض الآخر يشير إلى الصحراء على أنها منطقة نشأة سلالة البحر المتوسط ويعتمدون فى ذلك على بعض الأدلة الاركيولوجية (بعض رؤس الحراب) التى عثر عليها فى هذه المنطقة وتعتبر فى حد ذاتها —

الجنوبية والشمالية للبحر المتوسط وكذلك فوق الأرض الخصبة فى وادى الدانوب . وقد أمتاز أصحاب حضارة العصر الحجرى الحديث الذين خرجوا ينشرون حضارتهم إلى شمال إفريقية بالرأس الطويل أو المتوسط والقامة المائلة للقصر ، ومن ثم فينتمى المصريون القدماء فى عصر ماقبل الأسرات إلى هذه الجماعات (١) . غير أنه مع الانتشار تفرقوا إلى عدد من السلالات الفرعية التى أزدادت تخصصا فى صفاتها المميزة فى أوطانها الجديدة .

ومن المواقع الأثرية التى تنتمى إلى حضارة العصر الحجرى الحديث فى المغرب مواقع هوافتيح فى منطقة الجبل الأخضر فى برقة حيث عثر هناك على الاوانى الفخارية التى ترجع إلى النصف الثانى من الألف الخامسة ق . م . هذا ويلاحظ وجود مؤثرات حضارية مصرية فى هذه الآثار الليبية فهناك وجه شبه كبير بين فخار هو افتيح وبعض الصناعات الحجرية وفخار الفيوم « أ » ، وحضارة الانسان فى منطقة شرق ليبيا إلى جذور وتقاليد حضارية واحدة فى الصحراء الكبرى (٢) .

على أى حال فقد أستمرت حضاره العصر الحجرى الحديث معمرة فى المغرب

= دليلا على وجود اعدادا كبيرة من السكان ، ولاسيما فى الفترة التى كانت تستقبل فيها الصحراء الكبرى كمية كبيرة من الأمطار فى الزمن الرابع — انظر

Sergi (G) The Mediterranean Race, 1908, p. 39—43,

(١) يسرى الجوهرى : السلالات البشرية . ص ١١٧ .

(٢) رشيد الناضورى — ص ٢٧ .

الكبير لفترة طويلة من الزمن إلى أن قدم اليها من الساحل الشرقي البحر المتوسط عناصر بشرية جديده ودماء فتية جددت من حضارتها ونقلها من العصر الحجرى الحديث إلى عصر المعدن .